

صلح الحديبية



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو نقله أو تخزينه بأي وسيلة كانت، سواءً أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو أي وسيلة لحفظ واسترجاع المعلومات، إلا بإذن خطوي مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / مايو ٢٠٠٧م

© مؤسسة مناهج العالمية (ICO)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - بيانات النشر

المؤلفة: لينا الكيلاني

سيرة النبي الكريم - الكتاب السادس عشر

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) : 978-962-4-3960-9

مؤسسة مناهج العالمية (ICO)



مناهج العالمية
International Curricula

ص.ب : الرياض - المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: info@iconetwork.com

الموقع الإلكتروني: www.iconetwork.com

ترجمة : يوسف العاني - أمل صالح

مراجعة من فريق مناهج العالمية بالرياض

الرسوم التوضيحية : فراس نعوف

التصميم: فريق ICO

سيرة النبي ﷺ

صلح الحداثة

منهاج المالميـة
تأليف
لينا الكيلاني
International Curricula

صلح الحديبية

عاشت الأمة الإسلامية ستة أعوام صعبةً منذ هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة، وكانت قريش تمنع المسلمين دائمًا من الدخول إلى مكة. ومع مرور الزمن، ازداد شوق المسلمين لرؤية الكعبة ومناطق مكة المقدسة، ولم يكن أحد يشتق إلى أرضيها المقدسة أكثر من رسول الله ﷺ. لم تسمح قريش لهم بدخول مكة. ومع مرور السنين تلهفت قلوبهم إلى رؤية مجدها القديم. وكيف لهم أن يبلغوها؟ لقد شغلت هذه الفكرة ذهن الرسول ﷺ. ثم رأى في إحدى الليالي رؤيا عظيمة رأى أنه دخل مكة المكرمة هو وأصحابه بسلام وأتموا مناسك العمرة، ورأى ﷺ بعض أصحابه يحلقون رؤوسهم، ويقصر آخرون شعرهم قصرًا للعمرة. فلما سمع الصحابة ذلك انفجروا فرحاً، وظنّوا أن هذه الرؤيا ستتحقق بسهولة دون عناء. فاستعدّ الرسول ﷺ فوراً للانطلاق إلى مكة، فغسل ثيابه، وركب ناقته، ثم انطلق مع زوجته أم سلمة رضي الله عنها وخمسة عشرَ مئةً من المسلمين وبسبعين ناقةً للذبح في مسيرتهم نحو مكة.

في هذه المناسبة، أمر ﷺ أصحابه بحمل سيفهم ممددةً فقط، مذكراً إياهم بأن قصدهم العمرة لا القتال. وعند اقترابهم من مكة توقفوا قليلاً ليلبسوا ملابس الإحرام، ثم وصل إلى مسامع النبي ﷺ خبرٌ مقلق إن الطريق إلى مكة مسدود وجيشاً عظيماً ينتظر لردهم عن دخوها.

ومع ذلك، ثبت النبي محمد ﷺ وأصحابه على عزيمتهم لأداء العمرة ورؤية مدینتهم العزيزة مرة أخرى. فقرروا أن يواصلوا السير مسالmin، ما لم يُصدّهم المشركون عن أداء العمرة، وعندئذ يدافعون عن أنفسهم بكل قوّة. وبعد أن اتفقوا على ذلك، استأنف ﷺ وأصحابه السير نحو مكة وهم يرددون التلبية:

لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ،
لَبَيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَيْكَ،
إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ،
لَا شَرِيكَ لَكَ.

ومع النية الصادقة في قلوبهم، إذا لاقوا في طريقهم أحداً قالوا له: «ما جئنا إلا لأداء العمرة، ولا نريد قتالاً».

محمد ﷺ وأصحابه قادمون!

وفي هذه الأثناء، كانت مكة ترتجف من كل جوانبها، إذ محمد ﷺ وأصحابه في طريقهم إليها. وعلى الرغم من أن قصدتهم نية العمرة فحسب، فإن قريشاً أصرّت على منعاهم بأي ثمن. فأرسلت فرقاً من مائتي رجلٍ لم يأغطتهم أثداء صلاة الظهر. لكن الله تعالى أوحى بآيات صلاة الخوف، فالت Allaah المُسْلِمُونَ إِلَيْهَا وتجنبوا الكمين الشرير:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْمَتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقْعُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلَيَكُونُوا مِنْ وَرَآءِكُمْ وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصْلُوْا فَلَيُصَلُّوا مَعَكَ وَلَيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَظَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَحْدُودًا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾١٠٦﴾

[النساء : ١٠٦].



سار المسلمون في طريق وعري صخري حتى نزلوا بمنطقة تُدعى الحديبية بجوار بئرٍ صغير. ولما وصلوا ظمئوا ظمئاً شديداً، وعندما شاهدوا البئر وتفحصوه عرفوا أن الماء قليل جداً ولا يكفيهم جميعاً. هنا قام النبي ﷺ بمعجزة عجيبة، فوضع سهماً في الحفرة فانفجرت عينٌ ماءٌ رقاقه، فشرب منها المسلمين المعتمرين حتى ارتوا وعد إليهم النشاط.

بعد استراحة النبي ﷺ، اقترب منه بعض رجال قبيلة خزاعة مستفسرين عن سبب مجيء المسلمين، فقال لهم ﷺ: «ما حُنَّا إِلَّا لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ، وَإِنْ اعْتَنَقْتُ قَرِيشُ الدِّينَ الْجَدِيدَ كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ فَأَهْلًا وَسَهْلًا، وَإِنْ حَالَتْ دُونَ ذَلِكَ وَمَنْعَتِ الْحَجَّاجُ، فَإِنِّي -بِإِذْنِ اللَّهِ- أَحَارِبُهُمْ حَتَّى آخِرِ رَجُلٍ، وَلَنْ يُحْجِمْ أَمْرُ اللَّهِ».



حمل رجال خزاعة هذه الرسالة إلى قريش، فأرسلوا مزيداً من الرسل، لكنّ الرسول ﷺ كرّر على كلّ منهم القول نفسه. ومرّت الأيام دون اتفاق بين قريش وال المسلمين. وعندما عاد عروة بن مسعود الثقفي منبعثة إلى معسكر المسلمين، شهد قائلاً: «يا قوم، إني قد وفدت على الملوك كسرى وهرقل والنجاشي، وإنّي والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيمن هو بين ظهارانيه من محمدٍ ﷺ في أصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وأعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم.



يا قوم، أقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح، رجُلٌ أتى هذا البيت معمظاً له، معه الهدى ينحره وينصرف».

ورغم احترام قريش لرأيه، ظلّوا مصرين على رفضهم السماح بدخول المسلمين. وفي معسكر المسلمين ظل الحجاج ينتظرون أداء العمرة بقلق. وطال أمد الانتظار كثيراً بدون حصول أي تقدم، فكلّفوا عثمان بن عفان رضي الله عنه والذي كان من أقوى الأسر المكية بالتفاوض مع قريش.

ويسر الله لعثمان رضي الله عنه دخول مكة، فأبلغ أبا سفيان وغيره من زعماء قريش بأنّهم لم يأتوا إلا لأداء العمرة في البيت الحرام، وأنّهم لا يقصدون القتال، وسيعودون بسلام إلى المدينة المنورة عند الانتهاء من عمرتهم. ودعاهم عثمان رضي الله عنه إلى الإسلام.

ومع ذلك، صمت قريش على رفضها، وزعموا أنها خدعة، وقالوا لعثمان رضي الله عنه سنسمح لك فقط بأداء العمرة «إن شئت أن تطوف بالبيت فطف»، فقال رضي الله عنه: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم».

في تلك الأثناء، كان المسلمون ينتظرون بقلق عودة عثمان رضي الله عنه. فقد اعتادوا على مكر قريش وغدر القبائل المحيطة، وتساءلوا إن كان قد أصاب صاحبهم مكروه. ثم وصلهم خبر يفيد بأن عثمان رضي الله عنه قد تم أسره. فامتلأت قلوب الصحابة بالخوف على حياة عثمان رضي الله عنه، وتعهدوا بالانتقام له إن أُصيب بأذى، ووعدوا بدعم الرسول ﷺ مهما كانت العواقب.

تجمّع المسلمون تحت شجرة وأجمعوا على نصرة النبي ﷺ حتى الموت وعدم الفرار وأنه إما الفتح أو الشهادة، وقد عُرفت هذه البيعة باسم بيعة الرضوان، وذلك لأن الله رضي عن المؤمنين بسبب بيعتهم للرسول ﷺ .

* لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}. [الفتح : ١٨].

القرار النهائي

في نهاية المطاف، أدركت قريش أن المسلمين عازمون على أداء العمرة، ولن يتراجعوا عن الدفاع عن دينهم. فأطلقوا سراح عثمان رضي الله عنه، وأرسلوا معه من يتفاوض مع محمد ﷺ. واقتربوا أن يعود المسلمون في العام التالي لأداء العمرة. فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح، حرصاً على تجنب إراقة الدماء.

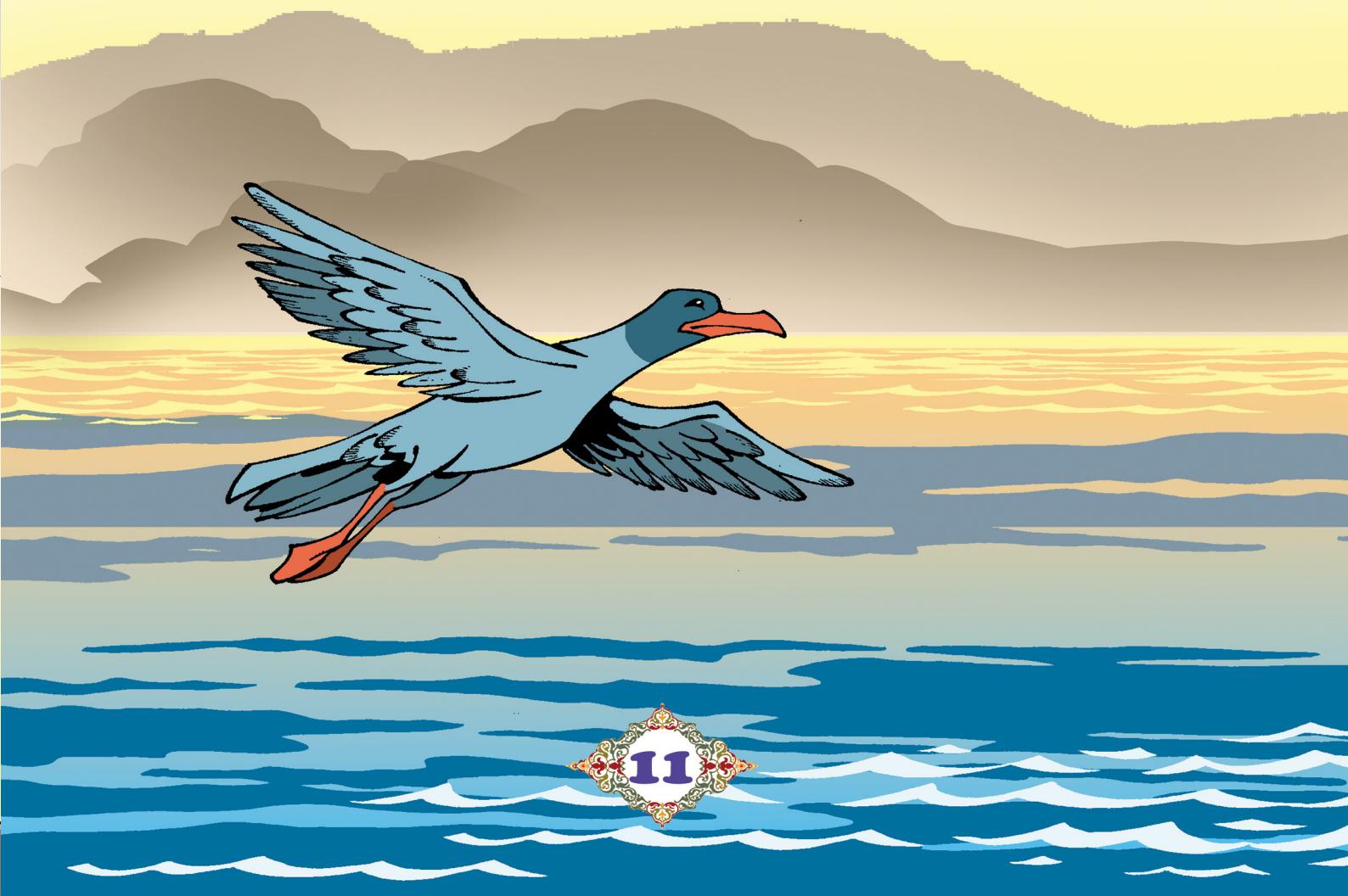


- وقد عُرف هذا الاتفاق باسم صلح الحديبية، وهو اتفاق ينص على ما يلي:
- لا يُسمح لل المسلمين بدخول مكة هذا العام، ولكن يمكنهم أداء العمرة في العام التالي، بشرط أن يغادروا بعد ثلاثة أيام.
 - في العام التالي، يجب أن تكون سيوفهم مغمدة.
 - يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي حرب لمدة عشر سنوات، مما يتاح للناس من كلا الجانبيين التحرك بأمان.
 - إذا جاء أحد إلى المسلمين دون إذن وليه، فعل المسلمين إرجاعه. أما إذا عاد أحد المسلمين إلى قريش، فلن يُعاد.
 - يحق لأي قبيلة أن تنضم إلى المسلمين وتعقد معهم اتفاقاً، كما يحق لأي قبيلة أن تنضم إلى قريش.
- كان هذا الاتفاق خطوة مهمة في طريق المصالحة، وأثبتت أن المسلمين قد أصبحوا قوة يُحسب لها حساب، حتى باتوا يتفاوضون مع قريش على قدم المساواة.

وفي خضم هذا الحدث، دخل عليهم رجل مسلم فقير، يتربّح من التعب، مكبل بالسلسل التي كانت تصدر صوتاً مع كل خطوة، وهو يتولّ إلى الرسول ﷺ أن ينقذه. وقد تأثر الرسول ﷺ بمشهد هذا الرجل المسكين، وطلب من قريش إطلاق سراحه، لكنهم رفضوا بشدة، مذكرين إياه ببنود الاتفاق التي تنص على إعادة كل من يأتي إليهم.

فاحتار الرسول ﷺ بين الوفاء بالعهد وإنقاذ الرجل، لكنه في النهاية اختار الالتزام بالاتفاق، وقال له:

«اصبر، واحتسب، فإن الله سيجعل لك ولأصحابك المستضعفين فرجاً ومحرجاً، لقد عاهدناهم على الصلح، وأخذنا العهد باسم الله، فلا يجوز لنا أن ننقضه». ففهم الرجل المسلم كلام الرسول ﷺ، ومضى بصمت، تجر خلفه سلسلة، وقد ملأ قلبه الأمل في وعد الله.



ذبْحُ الْأَنْعَامِ (نَحرُ الْمَهْدي)

عندما أتمّ الرسول ﷺ صلح الحديبية مع قريش، أمر الحجاج من المسلمين أن ينحروا الإبل التي جلبوها معهم. لكنهم لم يستجيبوا على الفور، فقد كانوا مصدومين ومحبطين من أنهم لن يتمكنا من زيارة الكعبة الشريفة. لقد تحطم فرحتهم التي صاحبتهم في رحلتهم، أمام فكرة العودة إلى المدينة دون أداء العمرة. لن يروا الكعبة؟ لن يسيراً في أرضها المقدسة؟ لم يستطيعوا تصديق ذلك!.

أمرهم الرسول ﷺ ثلاث مرات أن ينهضوا ويدأوا بالنحر، لكنهم لم يتحركوا لتنفيذ أمره. وقد أقلق هذا الأمر النبي ﷺ كثيراً، فصاحبته رضوان الله عليهم كانوا دائماً مطيعين له، فأخذ قلقه إلى زوجته أم سلمة رضي الله عنها. فنصحته أم سلمة رضي الله عنها بحكمة أن يبدأ هو بنفسه بنحر إبله، لعل ذلك يُحرك أصحابه المتردد़ين ويدفعهم إلى العمل.

وعندما فعل النبي ﷺ ما أشارت به عليه زوجته، قفز الصحابة فوراً لتنفيذ أمره السابق.

وقد أسرعوا في طاعته حتى كادوا يتعرضون من شدة حرصهم.

وقد دعا النبي ﷺ ثلاث مرات للرجال الذين حلقوا رؤوسهم، ومرة واحدة فقط للذين قصرّوا شعرهم.

وعندما عاد الرسول ﷺ إلى المدينة، جاءت إليه بعض النساء المسلمات من مكة يطلبن منه الحماية، فوافق على منحهن الأمان في المدينة المنورة. ورفض أن يُعيدهن إلى أهلهن كما نصّ عليه صلح الحديبية، وذلك لأن الاتفاق لم يذكر النساء تحديداً. علاوة على ذلك، فقد نزل عليه الوحي بعد توقيع الاتفاق، يُحِرّم على المرأة المسلمة أن تتزوج من رجل غير مسلم.

أثر صلح الحديبية

كان صلح الحديبية ذات أهمية بالغة، إذ جعل قريش تعرف بشرعية المسلمين وأجبرها على التعامل معهم على قدم المساواة. شيئاً فشيئاً، بدأت قريش تتخل عن مواقفها المتكبرة التي كانت عليها في الماضي، بينما كان المسلمون يزدادون عزّاً وعدداً وقوّة.

في الواقع، البند الذي سمح ببقاء بعض المسلمين مع محتجزיהם في مكة، كان بمثابة نعمة في ثوب محبة. وبعد فترة، تمكّن بعض المسلمين المكينين من الفرار واتجهوا إلى الساحل، حيث قاموا بمحاجمة قوافل قريش. وسرعان ما تحول هؤلاء المسلمين إلى مصدر بلاء لقريش، مما اضطرّها في نهاية المطاف إلى التخلي عن ذلك الجزء من الاتفاق..



تخيل فرحة أولئك المسلمين المنفيين عندما أرسل إليهم الرسول ﷺ يدعوهم للالتحاق به في المدينة!.

ومن مزايا الصلح أيضًا أنه تضمن اتفاق هدنة مدة عشر سنوات، مما أتاح للمسلمين فرصة للتركيز على القبائل المعادية الأخرى، ونشر رسالة الإسلام على نطاق أوسع.

وحين رأى الرسول ﷺ أن الوقت قد حان لنشر الإسلام إلى كل بقعة من الأرض، بعث مبعوثين إلى أعظم القادة والحكام في الدول المجاورة، يدعوهم إلى اعتناق الإسلام. فانطلق الفرسان في اتجاهات متعددة عبر آفاق الصحراء الواسعة. وكان هؤلاء الرسل الشجعان يحملون رسائل تدعو الحكام إلى الحق، وكانت هذه الدعوات الشمية مختومة بخاتم رسول الله - محمد ﷺ - رسول الله.

وَتَعَالَى
سُبْحَانَهُمْ

تُقال هذه العبارة تعظيماً لله تعالى عند ذكر اسمه، ويثاب المسلم على قولها.

صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تُقال هذه العبارة دعاءً من المسلم بأن يُصلّى الله تعالى ويبارك على النبي ﷺ. وتُقال عند ذكر اسم النبي أو أيٌّ من ألقابه مثل: النبي، الرسول.

عَلَيْكَ السَّلَامُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أنبياء الله (عليهم السلام) مثل: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى ... إلخ.

أَنْصَرَ اللَّهُ
عَبْدَهُ

تُقال هذه العبارة عند ذكر اسم أيٌّ من أصحاب النبي ﷺ مثل: أبي بكر، عمر، عثمان .. وغيرهم.

رأى رسول الله ﷺ في المنام أنه يؤدي هو والمؤمنون مناسك العمرة، فانطلق ﷺ وأصحابه على الفور استعداداً لزيارة الكعبة وبدأوا رحلتهم الطويلة. وعندما وصلوا إلى مشارف مكة، توقفوا لارتداء لباس الإحرام. ثم وصلهم خبر يفيد بوجود جيش ينتظر منهم من دخول الحرم.

وبعد إرسال عدة رسائل إلى قريش دون التوصل إلى اتفاق، أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه للتفاوض مع المشركين. فقامت قريش بإرسال عثمان رضي الله عنه مجدداً وبرفقته مفاوض يمثلهم. وافق رسول الله ﷺ على شروط الاتفاق، واستعد للعودة على أن يؤدي العمرة في العام التالي.

وقد نص الاتفاق على ألا يكون هناك قتال بين المسلمين والمشركين لمدة عشر سنوات. وُعرف هذا الاتفاق لاحقاً باسم صلح الحديبية.



9 789960 968247